أرجو ألا تسيء فهمي! (٣: ٢٧-٣١)

تأليف: دفيد روبر

أحاول منذ أكثر من خمسين سنة توصيل الإنجيل بالكلام (الكلام المكتوب وغير المكتوب). وأحياناً أكاد أن أشعر بالاحباط. من الصعب أن أقول ما أعنيه بالضبط، وقد تكون لكل كلمة عدة معاني. وكذلك الناس لا يستمعون (أو يقرؤون) عادة بحرص، وقليلون فقط لهم ذاكرة قوية. لقد سمعت الناس يقتبسون مما «يتذكرون» من كلامي. ولكنه لا يحتوي إلا على القليل جداً مما قلته حقاً.

كان بولس يدرك كيف يكون الشعور عندما يُساء فهم شخص ما - أو حتى يساء تمثيله (راجع ٣: ٨). وأحياناً يقف للحظة أثناء الكتابة لكي يدافع عن نفسه أو يعطي المزيد من التوضيح عما فعل أو عما لم يقصد. نصل الآن إلى نص توضيحي: رومية ٣: ٢٧-٣١. كان بولس قد أعطى مقدمة مثيرة عن موضوع التبرير. وقد شدد على أن التبرير يتم بالإيمان (٣: ٢٢، ٢٥، ٢٦)، وكان مستعد للحديث عن أهمية الخلاص (الأصحاح ٤). قبل أن يبدأ ذلك الحديث، وقف للحظة لتوضيح ثلاث مسائل ذات صلة بما قد قاله قبل قليل.

لكلام بولس الوارد في رومية تطبيق عام، ولكنه كان موجه بصفة خاصة إلى اليهود. لقد أدرك أن اليهود سيكونون أكثر المقاومين لتعليمه عن التبرير بالإيمان. وكان يدري أيضاً أنه إذا فهمه أحد بطريقة غير صحيحة أو أخطأ تمثيله، قد يكون ذلك يهودياً. لقد أعطى اهتمام خاص خلال هذه الرسالة لأصحابه اليهود.

أني أُسمي هذا الدرس «أرجو ألا تسيء فهمي!». عندما ندرس المواضيع الواردة في هذا النص، أريد أن أضع التوكيد على ما قال بولس وعلى ما لم يقل.

«أقول أن التبرير بالإيمان يستثنى الافتخار» (٣: ٢٧ و٢٨).

ما قاله بولس

يبدأ الأصحاح ٣ باسلوب السؤال والجواب. رجع بولس في الآية ٢٧ إلى ذلك الاسلوب: «فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى. بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلاَّ. بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ. إِذًا نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ» (الآيتان ٢٧ و٢٨). أول ما أراد بولس توضيحه هو أن عقيدة التبرير بالإيمان لم تترك مجالاً للافتخار عن الانجازات الشخصية.

تُرجمت كلمة «الافتخار» هنا من الكلمة اليونانية «كاوجيسيس καύχησις» والتي تشير إلى «عملية الافتخار». الافتخار هو تعظيم النفس بالكلام، والتباهي. يشمل الافتخار عادة تباهي الشخص بإنجازاته أو مواهبه أو ممتلكاته. عندما كتب يوحنا عن «كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ»، شمل كلامه على «تَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ» (١ يوحنا ٢: ١٦).

الافتخار أو التباهي هو شيء «طبيعي» عندما يعتبر الشخص انه جزء من شيء هام. تخبرنا رومية ٢: ١٧ و٢: ٢٣ بان اليهود كانوا يفتخرون بانهم الافضل عند الله وبانهم - هم وحدهم أعطي لهم ناموس موسى. لا يعني هذا أن الافتخار كان شيء خاص يمارسه اليهود. أستُخدمت كلمات يونانية مختلفة، ولكن تم التعبير عن الفكرة نفسها في الأصحاح الأول عندما أسمى بولس الأمم بانهم «مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ» (رومية ١: ٣٠). طبعاً لا تنطبق مثل هذه الكلمات على قُرَّاء بولس القدماء فقط. ما أيسر لنا أن نشعر بالتفوق على من لا «يعمل

قدر ما نعمل» أو الذي مبادئه الاخلاقية ليست قوية كمبادئنا الاخلاقية! كم نشوه صلاحنا عادة بالكبرياء وأحياناً بالافتخار!

بما يختص بالافتخار، شدد بولس على أنه «قَدِ انْتَفَى» {أي «قد أُبْطِلَ»} (آية ٢٧). تُرجمت كلمة «انتفى» هنا من كلمة يونانية مركبة («إكليو ἐκκλείω») معناها «أغلق بالخارج». صور باباً أُوْصِد لعدم دخول معتدي. تم استخدام فعل الماضي. تعني هذه العبارة أنه قد تم إبطال الافتخار نهائياً»[١].

على أي أساس قد أُبْطِلَ الافتخار؟ هل على أساس ناموس «الأعمال» (آية ٢٧)؟ كلا طبعاً. أي موقف مذهبي يعلم بان الناس يخلصون على أساس أعمالهم يشجع التباهي بدلاً من الاثناء عنه. يؤدي إرضاء الذات إلى تعظم النفس، والذي يؤدي بدوره إلى التباهي بالنفس. كتب جيم مكويقن أن أي «ناموس الأعمال» يضع التوكيد على الجدارة/الاستحقاق بدلاً من الرحمة يؤدي إلى عدم الجدوى بدلاً من الوفاء، ويجلب الغضب بدلاً من المأوى[٢].

أبطل الافتخار لأننا غير مخلصين على أساس الأعمال، بل على أساس «الإيمان» (آية ٢٧) – ليس بما عملناه، بل بما عمله الله لأجلنا.

الخلاص على أساس الأعمال هو البحث عن خلاص من الدرك الأسفل (أي بجهودنا)، بينما الخلاص على أساس الإيمان هو البحث عن الخلاص من فوق (أي من الله). الخلاص بالأعمال هو الأنانية، بينما الخلاص بالإيمان يعتمد على الله. إذا تم إنقاذ الشخص من الغرق، هل يتباهى بما عمله – كيف آمن بمنقذه؟[٣] كلا، بل انه سيستمر بالثناء على الذي خلصه.

عندما استمر بولس في حديثه وضع التوكيد مرة أخرى على ما قد علمه قبلاً في الآيات ٢١ إلى ٢٦: «إِذًا نَحْسِبُ[٤] أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ» (آية ٢٨).

وردَ في اللغة اليونانية في الآية ٢٨ العبارة «بدون أعمال ناموس» كلمة ناموس غير معرفة بـ«ال»، ولكن يتضح من السياق أنه كان يقصد ناموس موسى بصفة أساسية. ولكن ينطبق هنا مبدأ عام مرة أخرى: نحن لا نخلص بحفظ أي ناموس كان – لأننا لا نستطيع أن نحفظ أي ناموس حفظاً كاملاً.

كتب بولس سابقاً إلى المسيحيين الذين في أفسس قائلاً: «لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ» (أفسس ٢: ٨ و٩). وعندما كتب للمسيحيين الذين في كورنثوس، قال: «مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ» (١ كورنثوس ١: ٣١). وقال لأهل غلاطية: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ ...» (غلاطية ٦: ١٤؛ راجع فيلبي ٣: ٣).

قال دويت مودي ذات مرة كم انه كان سعيد بان الافتخار قد انتقى:

> إذا كان باستطاعة شخص ما ان يجد طريقه إلى السماء فانها لن تكون نهاية القصة. إذا تمكن أحد أن يتقدم قليلاً على الآخرين واستطاع الحصول على بضع آلاف من الدولارات، فانك تجده مفتخراً بانه صنع نفسه بنفسه. لقد سمعت الكثير من مثل هذه الاحاديث حتى تعبت منها. أنني سعيد اننا لن نسمع في الأبدية عن أي شخص يتباهى ان أعماله اوصلته هناك![٥]

كما قلنا سابقاً، أن هدف بولس في الآيتين ٢٧ و٢٨ واضح – ويوجد اتفاق عام على ذلك. ولكن هناك بعض الجدل حول المصطلح الذي استخدمه بولس. على سبيل المثال، ماذا قصد بكلمة «ناموس» في الآية ٢٧؟

---

[١] أخذ هذا من وليم هندريكسن في تفسيره بعنوان «Exposition of Paul's Epistle to the Romans»، من مجلد «New Testament Commentary»، صفحة ١٣٥.

[٢] ماخوذ من جيم مككويغن في تفسيره بعنوان «The Book of Romans» من سلسلة «Looking Into The Bible Series»، صفحة ١٣٧.

[٣] ورد هذا المثال في الكثير من الكتب بما فيها كتاب وارن ويرسبي الذي بعنوان «The Bible Exposition Commentary»، صفحة ٥٢٤.

[٤] استخدم بولس صيغة الجمع هنا «نحسب» ليشير إلى جميع المتكلمين أي الكُتّاب الموحى إليهم، أو ربما قد استخدمه بمفهوم المحرر كما فعل ذلك في ٣: ٨ ليشير إلى نفسه فقط.

[٥] مأخوذ من دفيد أف بارقس في كتابه بعنوان «Encyclopedia of Sermon Illustrations»، صفحة ٢١١.

«... بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلاَّ. بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ». لقد وردت كلمة «ناموس» كثيراً في دروسنا. السؤال هو، سواء كان بولس يقصد ناموس موسى أو أي ناموس اخر بصفة عامة. ولكنه استخدم هذه الكلمة أحياناً بمفهوم ثانوي. ربما استخدم بولس كلمة «نوموس νόμος» بمفهوم ثانوي يقصد بها «مبدأ»: فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى. بِأَيِّ {مبدأ}؟ {أبمبدأ التبرير بالأعمال؟ كَلاَّ. بَلْ بمبدأ التبرير بالإيمان}».

ما لم يقله بولس

رسالة بولس الأساسية في رومية ٣: ٢٧ و٢٨ هي أنه ليس لدينا ما نفتخر به لأننا لسنا مخلصين بأعمالنا، بل بإيماننا بيسوع. تقول ترنيمة إنجليزية قديمة «رجائي ليس مبني على شيء أقل من دم يسوع وبره «My hope is built on nothing less than Jesus's blood and righteousness»[٦].

أرجو ألا تنسى تلك الحقيقة. قبل التوسع بذلك، يجب أن نأخذ طريق جانبي لنتأمل في ما لم يقوله بولس في رومية ٣: ٢٧ و٢٨: قال اننا مخلصين بالإيمان، ولكنه لم يقل اننا مخلصين بالإيمان فقط.

الآية ٢٨ هو الموقع الذي أدخل فيه المصلح المشهور مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦) كلمة «وحده» في النسخة التي لديه باللغة الألمانية، إذ حرفه ليعلم بان الشخص يتبرر «بالإيمان وحده»[٧]. كان مارتن لوثر كاهناً تحرر من الكنيسة الكاثوليكية. عند الاستجابة لنظام «الخلاص بالأعمال» الذي كان يعرفه، كان قد بالغ في رد الفعل بحيث حاول التخلص من الأعمال برمتها. إضافة كلمة «وحده» في رومية ٣: ٢٨ تجعل هذه الآية في تناقض مع يعقوب ٢: ٢٤، ولكن «حل» لوثر تلك المشكلة بالقول أن رسالة يعقوب ضئيلة القيمة.

استغربتُ إذ رأيتُ عدد المفسرون الذين دافعوا عن الكلمة الجريئة التي أضافها لوثر[٨]. اعتقد انه ما كان يجب لي أن اتعجب إذ انه منذ وقت طويل أصبح «الخلاص بالإيمان وحده» تعليم أساسي لما يسمى بـ«المسيحية الإنجيلية».

جميع الذين ليسوا كاثوليكيين مديونيين لمارتن لوثر لأنه الذي كسر قيود نظام ديني مستبد. ما قام به لوثر من ترجمة الأسفار المقدسة إلى اللغة الألمانية هي من أعظم الإنجازات، وهو عمل عظيم – ولكني لا أتردد في القول بانه كان مخطئاً إذ أضافة كلمة «وحده». إذا كان يريد القول بانه يعتقد أن الخلاص بالإيمان وحده، هذا شيء ما. ولكنه شيء آخر إذا حاول أن يجعل الله يقول ذلك بإدخالها في النص الموحى به.

كان لوثر على خطأ في المقام الأول لأن الكتاب المقدس يدين بشدة الزيادة على الكلمة (راجع تثنية ٤: ٢؛ أمثال ٣٠: ٦؛ رؤيا ٢٢: ١٨ و١٩). كان لوثر على خطأ في المقام الثاني لأنه حالما يزيد الشخص على الكتاب المقدس لا يكون هناك حداً. لقد استخدم أتباع لوثر كلمة «وحده» (أو «فقط») في محاولاتهم لتسمية كل شرط كتابي يرونه غير ذات أهمية بانه «غير ضروري».

يحاول البعض استخدام كلمة «وحده» أو «فقط» للتخلص من المعمودية على انها غير ضرورية للخلاص. بحسب الخلاصة التي توصل إليها البعض، إذا كان بطرس يعرف معنى نعمة لكان قد أعطى إجابة مختلفة مما اعطاها للخطاة عندما سألوا قائلين: «مَاذَا نَصْنَعُ ...؟» (أعمال ٢: ٣٧). بدلاً من الإستجابة بقول: «تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (آية ٣٨)، يعتقدون انه كان سيقول: «الخلاص بالإيمان وحده. آمنوا فقط بيسوع فستنالون غفران الخطايا». تأمل في المناسبة التي سأل فيها شاول/بولس قائلاً: «مَاذَا أَفْعَلُ يَارَبُّ؟» (أعمال ٢٢: ١٠). إذا كان حنانيا الموحى إليه يفكر مثل مارتن لوثر لما قال: «وَالآنَ لِمَاذَا

---

[٦] إدوارد موته في ترنيمة بعنوان «My Hope Is Built on Nothing Less».

[٧] جون دفيد ستوارد في كتابه بعنوان «A Study of Major Religious Beliefs in America» من سلسلة «The Living Word»، صفحة ٣٢.

[٨] ذكر الكثير منهم أن آخرون كانوا قد أضافوا سابقاً كلمة «وحده» (أو شيء مماثل) إلى هذا النص. لقد علمتُ أطفالي بانه كون أن شخص ما قد فعل شيء ما هذا لا يعني أن ما فعله صحيح.

تَتَوَانَى؟ قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِيًا بِاسْمِ الرَّبِّ» (الآية ١٦). بدلاً من ذلك، كان سيقول لبولس بِبَساطة: «ثق بيسوع».

كتب جي دبليو مكغارفي ما يلي:

> عند محاربة مارتن لوثر ضلال روما (فكرة التبرر بالأعمال)، سقط هو نفسه في ضلال آخر لأن التوبة وسيلة التبرير مثلها مثل الإيمان، وليس هناك استحقاق/جدارة في إي منهما. سبب تبريرنا المستحق هو دم المسيح الكفاري، وبالإيمان والتوبة والمعمودية، ألخ؛ نحصل على دم المسيح. الأعمال التي نعملها لا تجعلنا مستحقين للتبرير، بل هي شروط وضعها المسيح لإطاعة ما عمله لأجلنا من فوائد دمه؛ أي تبريرنا[٩].

أني أومن بالتبرير بالإيمان، أشكر الله أنني قد خلصت على أساس الإيمان، وليس على أساس الطاعة التامة. وفي الوقت نفسه، ليس لديَّ الحق في التشكيك في الشروط التي وضعها الرب أو الاستخفاف بها. لأنني إذا فعلتُ ذلك لا يكون ذلك تعبيراً عن الإيمان، بل عن عدم الثقة.

«أني أقول أن التبرير بالإيمان يجب أن ينهي التعصب» (٣: ٢٩ و٣٠)

ما قاله بولس

شدد بولس في الآية ٢٨ على «أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ». مثل هذا الكلام يغيظ اليهودي. كانَ الإنسان اليهودي يؤمن بان امتلاكه لناموس موسى يجعله إنساناً خاصاً (وكان يتمسك بالاعتقاد القائل أن هذا ميزه (جعله أفضل بكثير) عن الأممي.

في النص الوارد في رومية ١: ١٨ إلى ٣: ٢٠ وضع بولس اليهود والأمم في مستوى واحد إذ أظهر انهم يرتكبون الخطايا نفسها. والآن يضعهم على مستوى واحد إذا قال أن لهم آب واحد. سأل قائلاً: «أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟» (٣: ٢٩). كان بعض اليهود يعتقدون هكذا. استمر بولس قائلاً: «... أَلَيْسَ {هو} لِلأُمَمِ أَيْضًا؟» (آية ٢٩). لكان معظم اليهود يجيبون قائلين «نعم». وإذا ضغطوا عليهم يعترفون بان الله هو الخالق والمتسلط والقاضي للأمم (راجع المزمور ٩٦: ١٠؛ إرميا ١٠: ٧) – ولكن من الصعب أن يقبلوا انه أيضاً مخلص الأمم.

أجاب بولس على سؤاله الذي طرحه هو نفسه: «بَلَى، {انه إله الأمم} أَيْضًا لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ ...» (رومية ٣: ٢٩ و٣٠). كانت الخلاصة التي توصل إليها بولس مبنية على حقيقة قلب الديانة اليهودية (أي التوحيد)[١٠] وعلى نص معروف لدى كل يهودي. كان اليهود الأتقياء يرددون كل يوم الشيما[١١] الذي تبدأ هكذا: «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ!» (تثنية ٦: ٤). إن كان هناك إله واحد فقط، فلا بد انه إله اليهود والأمم. لو كان للأمم إله آخر، لكان هناك إلهين – وهذه الخلاصة غير مقبولة لأي يهودي.

إذا كان الله هو إله الأمم أيضاً، فمن الطبيعي أن يشملهم الله أيضاً في خطته لفداء البشر. كان بولس قد قال في كلمته الافتتاحية أن الإنجيل هو «قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ {الأممي}» (رومية ١: ١٦). وها هو الآن يضع التوكيد مرة أخرى على تلك الحقيقة. ههنا ما قاله بالكامل: «... بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ {اليهود} بِالإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ {الأمم} بِالإِيمَانِ» (٣: ٢٩ و٣٠).

يقول ف. ف. بروس «كانت الفجوة بين اليهود والأمم من النوع الذي لا يمكن احتواءها في العالم القديم» – ولكن تم ضم تلك الفجوة بصليب المسيح. قال بولس للمسيحيين الذين في أفسس:

> لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا، الَّذِي جَعَلَ الاثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ

---

[٩] جي دبليو مكغارفي وفيلب واي پندلتون في كتابهما بعنوان «Thessalonians, Corinthians, Galatians and Romans»، صفحة ٣٢٣.

[١٠] التوحيد: الإيمان بإله واحد.

[١١] شيما: هي كلمة عبرانية معناها «اسمع». وهي الكلمة التي يبدأ بها النص الوارد في تثنية ٦: ٤.

حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الاثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلاَمًا، وَيُصَالِحَ الاثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلاً الْعَدَاوَةَ بِهِ (أفسس ٢: ١٤-١٦).

استمر بروس يقول أن «الحجة التي قدمها بولس {في رومية ٣: ٢٩ و٣٠} سارية المفعول على ضوء إنشقاقاتنا المعاصرة كما كانت في أيام الذين كتبت إليهم؛ لا فرق بين الشرق والغرب، أسود وأبيض، لأن الجميع يحتاجون على حد سواء إلى رحمة الله المجانية، والجميع ينالون الرحمة بالشروط نفسها». المسيحية فريدة من نوعها من حيث قدرتها لجمع الناس (رجالاً ونساء، أولاداً وبنات) من مختلف الأجناس ومختلف المقامات الإجتماعية، ومن مختلف المستويات الاقتصادية، ومختلف الخلفيات التعليمية والثقافية، وحتى من مختلف الطبقات الاجتماعية المنغلقة على نفسها - يجتمع الجميع ليعبدوا ويمجدوا ذاك الذي خلصهم بنعمته.

قال توم رايت أن الخبر الوارد في الرسالة إلى أهل رومية (٣: ٢٩ و٣٠) بسيط، وهو: «جميع الذين يؤمنون بيسوع ينتمون إلى عائلة واحدة ويجب أن يأكلوا عند المائدة نفسها»[١٢]. تأمل في ما قاله هالفورد لوكوك عن الانتماء إلى عائلة واحدة:

> إذا أخفقنا في التعامل مع الناس كعائلة واحدة، {فهذا يعني} اننا لا نؤمن حقاً بالإله الواحد ... يتعامل الله مع جميع الناس، يهوداً كانوا أم أمميين بالطريقة نفسها على أساس الإيمان، هكذا قال بولس. لا يتعامل الله مع الناس بحسب ألوانهم، ليس لديه من هم أفاضل. انه يكره الذين يعتبرون الآخرين كأنهم دونهم. إذا اعتبرنا البعض انه لا يمكن لمسهم، فاننا لا نؤمن بإله واحد. إذا انكرنا بأعمالنا وحدانية البشر، فاننا بالحقيقة نؤمن بتعدد الآلهة[١٣].

---

[١٢] توم رايت في كتابه بعنوان «New Tasks for a Renewed Church»، صفحة ١٦٨.

[١٣] مأخوذ من هالفورد إي لوكوك في كتابه بعنوان «Preaching Values in the Epistles of Paul» الجلد الأول «Romans and First Corinthians»، صفحتي ٣٧ و٣٨.

ما لم يقله بولس

ربما يجب أن أضيف ملاحظة قصيرة عما لم يقله بولس في رومية ٣: ٢٩ و٣٠: لم يقل أن اليهود ليسوا يهود بعد، ولا الأمم أمم. بل وضع التوكيد على أنه بما يختص بالخلاص لا تكون لمثل هذه الفروقات أهمية. الجميع مخلصين على أساس واحد.

قلتُ هذا لأن البعض يجادلون أن نصوص مثل رومية ٣: ٢٩ و٣٠ وغلاطية ٣: ٢٦-٢٨ تعلم أن الصليب أزال كل الفروقات. يحاولون بصفة خاصة إنكار تعليم العهد الجديد عن الزوج بانه رأس زوجته (راجع أفسس ٥: ٢٣) والتوكيد الذي يضعه العهد الجديد على قيادة الرجال في الكنيسة (راجع ١ تيموثاوس ٣: ٢)، بما فيها خدمات العبادة العامة (راجع ١ تيموثاوس ٢: ٨؛ ١ كورنثوس ١٤: ٣٤). الجميع (رجالاً ونساء) مخلصون بالطريقة نفسها، والجميع متساوون في نظر الله. هذا لا يعني أبداً انهم ليسوا رجالاً ونساء في ما بعد. ولم يخضعوا في ما بعد للنصائح الكتابية عما يتوقعه الله من الرجال والنساء.

«أني لا أقول أن التبرير بالإيمان يلغي الحاجة إلى العمل بما يقوله الله» (٣: ٣١)

ما الذي قاله بولس

قال بولس في ما سبق «أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ» (رومية ٣: ٢٨). وشدد على ان الله سيخلص اليهود (بالناموس) على الأساس نفسه كما يخلص الأمم (بدون ناموس) (الآيتان ٢٩ و٢٠). بعد ما قال بولس مثل هذا الكلام، عرف أن منتقديه قد يتهمونه بـ«نقض القوانين أو المباديء». لم يؤمن منتقدوا القوانين بـ«المتطلبات القانونية» ولا القيود الاخلاقية. لهذا اختتم بولس هذا القسم بالإجابة على السؤال عما إذا كان يؤمن بان هناك قيمة في شريعة {أي شريعة كانت}. وقد بدأ بالسؤال: «أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالإِيمَانِ؟» (آية ٣١).

كلمة «نبطل» هنا مترجمة من كلمة يونانية مركبة

(«كاتارغيو καταργέω) ومعناها «تقليل النشاط على نحو متعمد». («كاتا κατά» {أي «تحت»} بالإضافة إلى «أرغوس ἀργός» {أي «غير نشيط/ غير فعال»}). لا يوجد «ال» التعريف في كلمة «نوموس νόμος»، ولكن كان بولس يتوقع بصفة خاصة انتقادات من اليهود. إذاً لنتأمل أولاً في الكيفية التي أُعْتُبِر بها سؤاله من حيث: «أتبطل عقيدة التبرير بالإيمان بناموس موسى؟».

استجاب بولس مرة أخرى بنبرة الدهشة قائلاً: «حَاشَا! بَلْ نُثَبِّتُ النَّامُوسَ» (الآية ٣١). بينما لا يوجد «ال» التعريف في كلمة «نوموس νόμος» في هذه الآية، إلا أن الحديث هنا هو عن ناموس موسى. لم يوسع بولس هذه الفكرة هنا. ولكنه قال الكثير في أصحاحات لاحقة عما يمكن وما لا يمكن أن يعمله الناموس. كون أن المسيح جاء ومات من أجل خطايانا هذا «يثبت» ناموس موسى بمفهوم انه تمم الناموس. قال بولس في رسالته إلى أهل غلاطية أن الناموس كان «مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ ...» (غلاطية ٣: ٢٤) – وقد تمم {الناموس} ذلك الهدف.

لننظر بعد هذا إلى النص كما هو مكتوب حرفياً: «أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ نُثَبِّتُ النَّامُوسَ» {الآية ٣١}. يبدو أن هناك رسالة أساسية هامة: كوننا خلصنا بالإيمان بدلاً من الأعمال أهذا يعني انه لا يجب أن نهتم في ما بعد بإطاعة ناموس الله؟ أهذا يعني اننا أحرار لأن نعيش كيفما شئنا، وبان حياة التقوى لم تعد ذات أهمية؟ لا تترك إجابة بولس مجالاً للمساومة «حاشا!». بل قال «نثبت الناموس». أي «نثبت مفعولية الناموس بانه ما زال لله شرائع وما زال يتوقع منا إطاعتها».

بما أن بولس شدد على اننا مخلصين بالإيمان وليس بحفظ الناموس، فبأي طريقة «تثبت» عقيدة التبرير بإيمان «الناموس»؟ الإيمان الذي يخلص هو في المقام الأول إيمان مطيع. يتهم المؤمن بان لا ينتهك ناموس الله، أما غير المؤمن فلا يهتم. وفي المقام الثاني، يعرف المؤمن ما عمله الله لأجله، ويكون شاكراً لما قد عمله الله، وبهذا يريد أن يطيع ناموس الله. «نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً» (١ يوحنا ٤: ١٩)؛ «فَإِنَّ هذِهِ هِيَ مَحَبَّةُ اللهِ: أَنْ نَحْفَظَ وَصَايَاهُ ...» (١ يوحنا ٥: ٣).

قال مكغويغن أن الذين يؤمنون بالخلاص بالإيمان هم الذين يطيعون الناموس، وليس الذين يؤمن بالخلاص على أساس حفظ الناموس. وأعطى تباين بين الشخص الذي سماه «المفرط في التمسك بالناموس» (أي الذي يؤمن بالخلاص على أساس حفظ الناموس) و«المؤمن»:

> من ناحية ما يقدم المتمسك بالناموس حياة الطاعة ويعتقد أن ذلك سيفي بمتطلبات الناموس. ولكن بما أن طاعة الإنسان ناقصة دائماً، هذا يقلل من قداسة الناموس المتعالية. وذلك يطالب بإرضاء الناموس بأقل من متطلباته. ومن ناحية أخرى، يعترف المؤمن بان كل ما يقوم به لا يفي بمتطلبات الناموس. وبذلك يقول للناموس: «أني أسف، لانه أفضل ما استطيع تقديمه لا يفي بإشباع متطلباتك العادلة والمقدسة. عليَّ أن استعين بالبديل، وهو: يسوع المسيح». المؤمن هو الذي يضع الناموس فوق قمة الطهارة.

ما لم يقله بولس

يتضح من تعليقنا على ما ورد في رومية ٣: ٣١ ومن بعض الترجمات الأخرى بان البعض يعتقد أن هذه الآية تعلم أن ناموس موسى ما زال ساري المفعول في يومنا هذا – على الأقل بالنسبة لليهود وربما للجميع. يتضح أيضاً أن معظم الكُتَّاب لم يجتهدوا لمعرفة العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد. في البحث الذي أقوم به أجد أحياناً الرأي بان الله أبطل «ناموس الشعائر/الطقوس» في العهد القديم ولكنه لم يبطل «المباديء الاخلاقية». لو كان هذا صحيح، من يكون مؤهلاً ليقول ما هو «شعائري» وما هو «اخلاقي»؟

عندما كتب بولس إلى أهل رومية، تحدث بطريقة غير مباشرة فقط عن مسألة تبطيل الناموس[١٤]. كان هدفه هو أن يبين اننا لسنا مخلصين بحفظ الناموس – سواء كان ذلك ناموس العهد القديم أم وصايا العهد الجديد أو أي نظام {ناموسي/تشريعي} آخر. أي بعبارة أخرى، أي ناموس لم يكن عامل رئيسي في ما

---

[١٤] مع انه لم يتحدث عن هذه المسألة مباشرة، إلا انه قدم دلائل قوية عن التفكير بها – كما سنرى عند دراستنا لرومية ٧: ١-٦.

قاله. ولكنه كتب في مناسبات أخرى عن هذا الموضوع. قال بولس في الرسالة إلى أهل أفسس ٢: ١٤ و١٥ أن المسيح «... نَقَضَ حَائطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ {بين اليهود والأمم} أَيِ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ {أي ناموس موسى} ...». وتقول الرسالة إلى أهل غلاطية ٣: ٢٤ أن الناموس كان «مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالإِيمَانِ». وتضيف الآية ٢٥: «وَلكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الإِيمَانُ، لَسْنَا بَعْدُ تَحْتَ مُؤَدِّبٍ {أي تحت ناموس موسى}». عندما حاول المعلمون الكذبة إلزام قوانين العهد القديم (مثل الختان) على المسيحيين، كان رد بولس قوي وحاسم (راجع أعمال ١٥: ١ و٢؛ غلاطية ٥: ٢).

سنتحدث عن هذا الموضوع بمزيد من التفاصيل لاحقاً. وأما الآن فنكتفي بقول هذا: لم يقل بولس في رومية ٣: ٣١ أن ناموس موسى ما زال ساري المفعول.

الخلاصة

يعمل ما ورد في رومية ٣: ٢٧-٣١ كجسر بين مقدمة بولس لموضوع التبرير بالإيمان (٣: ٢١-٢٦) وبين حديثه عن هذا الموضوع في الأصحاح التالي. لمح بولس مرة أخرى في الأصحاح الرابع على ان الافتخار قد أُبْطِل (قارن ٣: ٢٧ مع ٤: ٢) وبان اليهود والأمم كلاهما يتبرران على الأساس نفسه (قارن ٣: ٢٩ مع ٤: ١١، ١٤، ١٦).

قبل أن نترك رومية ٣: ٢٧-٣١، أذكرك بانه كان من المهم لبولس أن لا يساء. أراد لقراءه أن يفهموا ثلاثة مبادىء عن عقيدة التبرير بالإيمان:

- انها تتضع الخطاة – وتبطل الافتخار.
- انها توحد المؤمنين – وتثني عن التمييز.
- انها تثبت الناموس – وتشجع الطاعة[١٥].

عندما ندرس تعليم بولس عن التبرير بالإيمان، اتمنى لو انك تستطيع تطبيق ذلك على نفسك. لا بد لك ان تعرف بانك إن كنت ضالاً، لا يكون ذلك بسبب خطأ من جانب الله. لأنه قد فعل كل ما باستطاعته ليضمن خلاصك. لم يرسل ابنه فحسب، بل أيضاً أعطانا الكلمة التي تخبرنا عن ذبيحة المسيح وكيف يمكننا الاستفادة منها. يتوقف كل شيء بعد ذلك عليك. إن لم تكن قد توكلت على يسوع بعد وعملت بمشيئته كما هو موضح في مرقس ١٦: ١٦؛ أعمال ٢: ٣٨، أتمنى انك تفعل هذا اليوم.

---

[١٥] مأخوذ من جون آ دبليو ستوت في تفسيره بعنوان «The Message of Romans: God’s Good News for the World» من سلسلة «The Bible Speaks Today»، صفحة ١٢١.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩